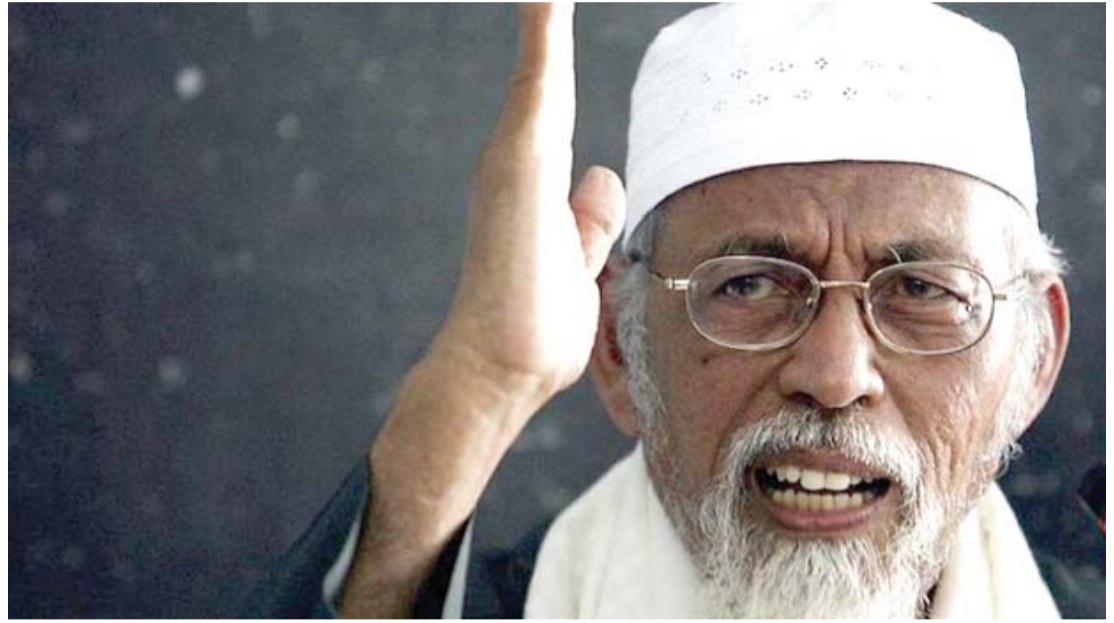


رحلة جهادي من التمرد إلى المواطنة

أبو بكر باعشير

زعيم الإسلاميين في إندونيسيا العائد من دولته التكفيرية الموازية



● حسابات جاكارتا في إطلاق باعشير تتعلق في هذا التوقيت بزوال خطره خارج السجن، حيث فقد زعامته للتيار الجهادي ولم يعد عناصر الجماعة الإسلامية ينظرون إليه كرمز

عن فوزي أن قضية باعشير الآن مختلفة ويُراد أن يكون له ثوب جديد بمغزل عن رمزية القيادي الجهادي والزعيم الحركي، وهي رمزية الجهادي الذي انتهى تأتبا نادماً مستظلاً بالوطن.

تسلل باعشير إلى ماليزيا ثم إلى أفغانستان، عندما وقف الرئيس السابق سوهارتو بالمرصاد للجماعات المتطرفة ونظام الأسر وتكوني خلايا صغيرة قطب وأيديولوجيات جماعة الإخوان والجماعة الإسلامية المصرية على يد كل من عبدالله عزام وأيمن الظواهري ورسول سياف.

تتحى سوهارتو فوجدت الجماعات فرصتها في العودة والانتشار. ورجع باعشير في بداية التسعينات منبرها بمنهج الإخوان في التربية والتجنيد ونظام الأسر وتكوني خلايا صغيرة تتحرك بنظام محلي داخل خلايا أكبر ترتبط في النهاية بقيادة التنظيم، وهو الأسلوب الذي مكنته من استقطاب البنية الرئيسية لجماعته من بين طلبة الجامعات وأسائرتها.

تأثر باعشير أيضاً بعمر عبدالرحمن الأب الروحي للجماعة الإسلامية المصرية، وبسبب هذا التأثر أنشأ الجماعة الإسلامية بإندونيسيا بدلاً من الجمهورية الإسلامية. ولم يمنعه تأثره بالإخوان والجماعة الإسلامية من الانبهار أيضاً بزعيم القاعدة أسامة بن لادن، حيث أقام في أفغانستان علاقات قوية معه وقويت الصلات بين التنظيمين بجهود خالد شيخ محمد. ثم جاء فشل باعشير في تأسيس دولة خلافة موازية في إندونيسيا ليديفعه إلى تجريب الأنضواء تحت راية البغدادي، فباع عدد من كوادر الجماعة الإسلامية ما سُمي بتنظيم الدولة الإسلامية عقب ببيعة باعشير وأسسوا جماعة جديدة تحت مسمى "أنصار الدولة" متخذين أمان عبدالرحمن أميراً لهم، الذي حرص أتباعه على القتال دون الاستعداد الكافي وفق رأي الوكيل السابق بالهيئة الوطنية لمكافحة الإرهاب اللواء المتقاعد حامدين أجي أمين، الذي وصف عبدالرحمن بالشخصية الضعيفة المتهورة.

إذا كان حظر حزب التحرير خمد داعش في استقطاب أعضائه، وممارسات الجهاديين عموماً تصب في مصلحة جماعة الإخوان التي توظف ورقة العنف في ابتزاز السلطة والضغط عليها، فإن باعشير الذي خاض غمار تلك التجارب مجتمعة قادر على لعب دور ما في تفكيك أيديولوجياتها كوازن مستقل يرسم الطريق الثالث.

تقلب باعشير بين كل الجماعات على الساحة بعد أن استقى من فكر الإخوان والجماعة الإسلامية المصرية وتلمذ على يد قادة القاعدة وسعى للتسلق على كتف داعش، علامة على فشل مجمل تلك التنظيمات في أن تنهض بمشروع أكبر من خبراتها وقدراتها وتصوراتها



سونكار تخبط الرجل، وكلما وجد فصلاً صاعداً أو كياناً نافذاً سارع بالانتساب إليه، وعندما ينهار يتبرأ منه وينفصل عنه.

وذاًت يوم تجمع الآلاف من أنصار التنظيمات المتطرفة الإندونيسية في مدينة جوج جاكارتا عام 1999 لتأسيس ما عُرف بمجلس مجاهدي إندونيسيا الذي ضم تنظيمات من الفلبين وتايلاند وبورما وسنغافورة وماليزيا، واختير أبو بكر باعشير آنذاك أميراً للجهاديين.

رغم رفض باعشير لتفجيرات أعياد الميلاد في ديسمبر 2000 قبل تنفيذها والتي استهدفت عدة كنائس بمناطق متفرقة بإندونيسيا في وقت واحد، ورغم أن الذي نفذ تفجيرات بالي قطاع داخل الجماعة يقوده رضوان عصام الدين حنبلي بخلاف القطاع الذي كان يقوده باعشير، إلا أن الأخير مسؤول عن وضع أسس هذا المنهج مترعماً بمجمل الفصائل التي اعتنقته، حيث أكد في الاجتماع التأسيسي لمجلس شوري المجاهدين أن من يرفض تطبيق الشريعة يُعلن الجهاد ضده.

رجل يختصر حالة

تبرا باعشير في أثناء محاكمته من المسؤولية عن أحداث العنف زاعماً أن منصبه هو إمارة مجلس المجاهدين الإندونيسيين وليس إمارة الجماعة الإسلامية، لذلك جاء الحكم عليه مخففاً على خلفية انتهائه لقوانين الهجرة وليس لارتكابه أعمال عنف أو التحريض عليها.

قتل قادة سابقون بجماعات جهادية في إندونيسيا من أهمية دور باعشير الحالي بالأوساط الجهادية، نتيجة تحولاته الحادة وعدم استقراره على فكر جماعة ببيعة، علاوة على طبيعة

التغيرات التي طرأت على الحالة الجهادية في إندونيسيا وجنوب شرق آسيا في غيبته، وكشف القيادي الجهادي السابق على فوزي، وهو أحد من تورطوا في تفجيرات جزيرة بالي عام 2002، أن باعشير فقد نفوذه داخل الجماعة الإسلامية التي أسسها وقادها لسنوات بسبب بيعته لداعش. وأوضح فوزي الذي يدير الآن مركز دائرة السلام الذي اشترك في برنامج تاهيل المتطرفين وإعادة دمجهم تحت رعاية الحكومة الإندونيسية، أن باعشير فقد رمزيته، حيث ساعدته في الماضي بعض القضايا التي تناولها في تحقيق النفوذ والانتشار مثل الهجرة إلى أفغانستان لنصرة المسلمين ومحاربة الشيوعية، أما الآن فليست لديه قضية يستطيع من خلال إنارتها جذب مريدين جدد حوله. وغاب

لداعش وغيره. وينصب اهتمام تنظيم الدولة حالياً على إتمام حلقة خطره بين أفغانستان والفلبين وإندونيسيا وماليزيا، وهي نفس خارطة نفوذ القاعدة سابقاً للهيمنة على إرثه ومراكز نفوذه التي شكلت مصدر خطورته.

لذلك يعد باعشير نموذجاً مثالياً لدى السلطات في إندونيسيا لتقديمه الآن للشباب، خاصة مع عودته بعد إطلاق سراحه لإلقاء دروسه على طلابه في معهده المؤمن بمدينة سوهارجو بمحافظة جاوا الوسطى، ليعلمهم أن هذا المشوار الطويل عديم فارغ ولا جدوى منه.

سوف يجلس باعشير أمام طلابه ليحكى لهم تجربته ويعرض مسيرته ويقول إنه جرب كل شيء، وتمرد وكفر وفجر وخطط ونفذ ويؤيع وبيع، وفي الأخير وجد كل هذا سراباً في سراب، وأن الوطن هو البداية والنهاية، وهو الإسلام، وهو المنفذ من الضلال والبيت والماوى.

ويقول القيادي بمجلس علماء إندونيسيا الشيخ مجاهدين نور، إن السلطات الإندونيسية تحرص على توظيف إطلاق سراح باعشير كدليل على احترام الحكومة لحقوق الإنسان والمبادئ الديمقراطية. وتعلق حسابات جاكارتا في إطلاق باعشير في هذا التوقيت بزوال خطره خارج السجن، حيث فقد زعامته للتيار الجهادي ولم يعد عناصر الجماعة الإسلامية ينظرون إليه كرمز.

وُلد باعشير في العام 1938، والتحق بمعهد دار السلام وتخرج من كلية الدعوة بجامعة الإرشاد بمدينة سولو، ثم أسس معهد المؤمن عام 1972، وأطلق من هناك الفتاوى بتحريم تحية العلم والشهيد الوطني قياساً بالثرك. وعُرفت عنه البراغمية والرغبة في الزعامة منذ إنطلاقه لمشروعه التكفيري المسلح في إندونيسيا ومحيطها جنوب شرق آسيا، بمساعدة رفيقه عبدالله سونكار.

البراغماتي المتلون

لم يكن باعشير حافظاً للقرآن الكريم، مستواه في تحصيل العلم الشرعي أقل من المتوسط، غير أنه يتحدث العربية. وبعد أن الحق بمعهد مسجداً ليخطب به، نجح في جذب الكثيرين ليس لبراعته العلمية، إنما عبر توظيف هيئته وحنوّه على أتباعه والمبالغة في التودد إليهم عامداً إلى إظهار الحب للناس العاديين لكي يقبلوا على جماعته.

عندما كان يأخذ البيعة لجماعته في مدينة سولو، كان يعتمد على إظهار النبشقة بالناس بشكل خادع كأنهم أمام نسخة من المهاتما غاندي، الذي يناضل من أجل الفقراء وضد الاستعمار رغم أنه يبطن تكفيرهم.

مول باعشير نشاطه الخاص بمرکز نفوذه بجزيرة جاوا من خلال لعبة خدعت الأعداء، حيث روج أنه فصيل مقاوم ضد بقايا الاحتلال الهولندي، واستخدم الأموال في شن عمليات مسلحة ضد السلطة المحلية والسياح لخدمة حلمه بإقامة جمهورية إندونيسيا الإسلامية التي سيكون هو زعيمها. وبعد موت رفيقه

رحلة طويلة بدأها شابٌ قليل المعرفة يملأه الحماس وحب الظهور والزعامة ملقياً خطبة في معهده تضمنت تحريم تحية العلم وترديد الشهادتين الوطني، وصولاً إلى تأسيس منهج الجماعة الإسلامية القائم على رفض المبادئ الخمسة الأساسية في الدستور الإندونيسي، وتمثل فلسفة الدولة بعد الاستقلال، إلى إعلان جمهورية إسلامية لا تدين بالولاء والطاعة للسلطة القائمة، يتلقى زعيمها أبو بكر باعشير وعبدالله سونكار بيعة الموالين لها بمدينة سولو في جاوا الوسطى.

الجمهورية الافتراضية

ها هو نفسه الآن بعد أن جرب تطبيق هذا المنهج التكفيري وطرح جمهورية إسلامية موازية من خلال نسخ شتى من التنظيمات والحركات بداية من دار السلام وبعدها جماعته، الجماعة الإسلامية، ودولته الموازية الافتراضية التي أطلقها وانتهى بنموذج داعش في الشرق الأوسط، تصبح تجربته دلالة على ضحالة تلك المناهج التي تكفر المجتمع والحكام، وتعتبر أن المسلمين فقط هم المنضويون تحت لواء الجمهورية الإسلامية الافتراضية.

تقلبه في كل الجماعات على الساحة بعد أن استقى من فكر الإخوان وتشرّب من الجماعة الإسلامية المصرية، وتلمذ على يد قادة القاعدة وسعى للتسلق على كتف داعش بعد فشل مشروع دولته في إندونيسيا، علامة على فشل مجمل تلك التنظيمات في أن تنهض بمشروع أكبر من خبراتها وقدراتها وتصوراتها.

في ظل بحث الجماعات الجهادية في الشرق الأوسط الآن عن ساحات بديلة ورهان قادتها على دول جنوب شرق آسيا، كوجهة مثالية ومفضلة للإرهاب العالمي، تحرص السلطات الإندونيسية على تشجيع النزوح لأفكار المواطنة والانتفاء للدولة بغرض تخفيف منابع تجنيد الجماعات العابرة للحدود بالنظر لاحتضان إندونيسيا لعدد من الجماعات التي تتبنى الفكرة الأممية، مثل حزب التحرير الذي تم حظره عام 2017، ويمثل بيئة خصبة لاستقطاب مقاتلين



● توبته عن مبايعة داعش بعد اعتناق فكره أربع سنوات تعد رسالة للواقعين تحت تأثير الدعاية المتطرفة في بلاده بان يتمهلوا ولا يتسرعوا.

هشام النجار
كاتب مصري

● بصحية حراسة مشددة مشكّلة من قوات الشرطة وعناصر من وحدة مكافحة الإرهاب، عاد زعيم الجماعة الإسلامية الإندونيسية السابق أبو بكر باعشير إلى منزله داخل حرم معهد المؤمن بمدينة سوهارجو في محافظة جاوا الوسطى، قادماً من سجن غونونغ سينجار، بعد الإفراج عنه يوم الجمعة الثامن من يناير الجاري.

ويغري إطلاق سراح باعشير البالغ من العمر 82 عاماً، بعد أن قضى مدة عقوبته بالسجن 11 عاماً على خلفية قضية التدريبات العسكرية لتنظيم القاعدة بمحافظة انشيس، لتوظيفه سياسياً وتوصيل رسائل عديدة في أكثر من اتجاه.

تسلل باعشير إلى ماليزيا ثم إلى أفغانستان بعد أن وقف الرئيس السابق سوهارتو بالمرصاد للجماعات المتطرفة وطاردها معظمها، مكّنه من دراسة أفكار سيد قطب وأيديولوجيات جماعة الإخوان على يد كل من عبدالله عزام وأيمن الظواهري

سبق باعشير البغدادي زعيم تنظيم داعش في فكرة طرح نفسه كخليفة للمسلمين وقائد للجمهورية الإسلامية الإندونيسية عام 1945، حيث طرحها كمشروع إسلامي بديل عن النظام القائم آنذاك، وتوبته عن مبايعة داعش بعد اعتناق فكره أربع سنوات كانت رسالة للواقعين تحت تأثير الدعاية الداعشية في بلاده بان يتمهلوا ولا يتسرعوا، وأن يتعلموا من تجربة الشيخ الهرم.